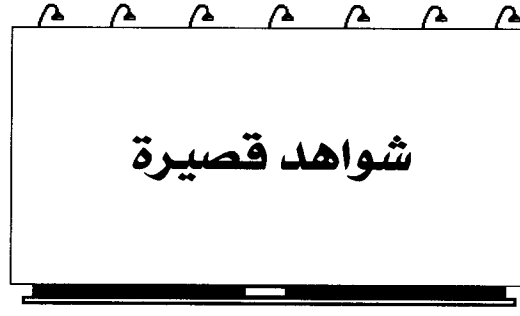
شواهد قصيرة

شواهد قصيرة

الشواهد على جمال اللغة وصحتها، ودقة الوصف ووضوحه كثيرة فيما روي لنا عن صاحبة الحرير الأخضر، وقبل أن نغادر هذا الجانب من كتابنا نورد بعض الشواهد القصيرة على ذلك:

١- أخبرت عائشة رضي الله عنها: أن النبيَّ ﷺ لما جاء إلى مكة دخل من أعلاها، وخرج من أسفلها.

٢- قالت عائشة: طيَّبت رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يحرم، ولحلِّه قبل أن يطوف بالبيت.

٣- تصف حالة إمامة أبي بكر للناس بالصلاة حين كان الرسول ﷺ مريضاً فتقول: فخرج أبو بكر يؤم الناس، فلما كبر أبو بكر خرج النبي ﷺ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأشار النبي ﷺ أنْ مكانك، قال: فمكث مكانه، فجلس النبي ﷺ بحذائه فجعل أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله، ويصلي الناس بصلاة أبي بكر حتى قضوا الصلاة.

٤- قالت: كان رسول الله ﷺ يصلِّي صلاته من الليل وأنا معترضة بينه وبين القبلة، وأنا مضطجعة على فراشه الذي يرقد عليه هو وأهله.

٥- قالت - رضي الله عنها -: ما من امرأةٍ أحبّ إليَّ من أن أكون في مِسْلاخِها من سَوْدة بنت زمعة من امرأة فيها حِدّة، فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، قالت: يا رسول الله، جعلت يومي منك لعائشة، قالت: كان النبي عليه الصلاة والسلام يقسم لعائشة يومها ويوم سودة.

٦- قالت: لعب السودان عند رسول الله ﷺ فدعاني فكنت أنظر إليهم من فوق عنقه، فلم أزل أنظر إليهم حتى كنت أنا الذي انصرفت.

٧- سئلت عائشة عن ولد الزِّنا فقالت: ليس عليه من خطيئة أبويه شيء، وقرأت الآية: «ولا تزر وازرة وزر أخرى».

٨- قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة الليل قائماً، فلما دخل في السنّ جعل يجلس، حتى إذا بقي من السورة ثلاثون أو أربعون قام فقرأها ثم سجد.

٩- قالت: كنت أنا والنبي ﷺ نغتسل من إناءٍ واحد - كلانا منه -.

١٠- كان رسول الله ﷺ يصلي ثلاث عشرة يوتر منهن بخمس، لا يجلس في شيء من الخمس حتى يجلس في آخرهن فيسلم.

١١- قالت: كان النبي ﷺ إذا اغتسل من جنابةٍ غسل يديه ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم تخلَّل أصول الشعر بالماء حتى إذا رأى أن قد استبرأ البشرة أَفرغ على رأسه ثلاثاً، ثم أفاض على سائر جسده.

١٢- قالت: ما خيِّر رسول ﷺ بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس.

١٣- قالت: إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يتتبعون بذلك رضا رسول ﷺ.

١٤- قالت: إذا تمنَّى أحدكم فلْيُكْثِرْ، فإنما يسأل رَبَّه.

١٥- قالت: أُتي النبيُّ صلى الله عليه وسلم بصبيّ فبال عليه فأتْبعه الماء ولم يغسِلْه.

هذه شواهد مختصرة كلُّها صحيحة كما ورد في كتب الحديث. فيها تنويع في الموضوع، واختصار في العبارة، وفطنة ودراية بالكلمة وقيمتها، وفيها علم غزير، فإذا كنَّا نعلم أن عائشة رضي الله عنها - كما أخبرتْ عن نفسها - تزوجت رسول الله ﷺ، وعمرها سبع سنين، ودخل بها، وعمرها تسع سنين، وتوفي عنها وهي دون العشرين، فإننا سنقول: سبحان الله العظيم الذي وهبها هذه المواهب، وأكرمها بهذا المقام الرفيع.

ثم نقول: ما أحوج نساء المسلمين كباراً وصغاراً إلى علاقة قوية لا تنقطع بهذه المرأة الصالحة ذات السيرة العطرة (صاحبة الحرير الأخضر)؛ لأنها مثال واضحٌ للقدوة الصالحة التي بَنَتْ شخصيَّتها بناءً قوياً دينياً وثقافياً وأدبياً وعلميَّاً؛ فكانت على هذه المكانة من العلم والبلاغة والبيان.

وإني لأستأذنكم أن أقف وقفة خاطفة مع واحدٍ من الشواهد الماضية، ألا وهو قولها: «إنَّ الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، يتتبعون بذلك رضا رسول الله ﷺ».

أتدرون - أيُّها الأحبة - أن هذا النص جوهرة من جواهر البيان وحسن الصياغة، والتواضع، إنَّه أنموذج للإبداع في لغة التخاطب.

كيف ذلك:

الحديث متعلِّق بها، وهي تنقله لأنه يتضمَّن حكماً شرعياً في طريقة التعامل مع الزوجات لمن لديه أكثر من زوجة، وفيما يجوز أن تناله واحدة منهن دون غيرها، ومع ذلك فقد نقلته بأسلوب مؤدَّب جميل، فهي تقول: «يتحرون بهداياهم يوم عائشة»، ولم تقل: «يومي»، مع أنها في قرارة نفسها سعيدة بذلك، ونحن - أيضاً - به سعداء ما دام متعلِّقاً بمن يحبها رسول الله ﷺ، ويصرِّح بحبه لها.

ثم تقول: يتتبَّعون بذلك رضا رسول الله ﷺ.

ما أجمله من قول وما أصدقَه، فهي الرَّاوية الصادقة التي تعرف معنى كونها تحدِّث عن أفضل خلق الله.

هي الصادقة لأنها قالت هذا، ولم ينفِ أحدٌ ما قالته، ولو كان فيه مجالٌ للنفي لبادرت به إحدى زوجات النبي ﷺ اللاتي كن

يدخلن - أحياناً - في منافسات كريمة شريفة مع صاحبة الحرير الأخضر.

هنا - أيها الأحبة - تأتي المقدرة الكبيرة على التعبير، فعائشة في هذا الخبر نقلت شيئاً عن نفسها، فيه مزيَّة لها، ولكننا لم نشعر بكلمة نابية تصدم أذواقنا أو تشعرنا بأنها تروي ذلك غروراً وكبْراً، فهي أبعد الناس عن ذلك، وإلا لما قالت: يتتبعون بذلك رضا رسول الله ﷺ، مؤكدة بهذا أنهم لا يفعلون هذا من أجلها هي، وإنما هو من أجل إرضاء الرسول عليه الصلاة والسلام، وسوف نقف - إن شاء الله - وقفة خاصة مع هذا الموضوع.

هكذا ترقى لغة صاحبة الحرير الأخضر ويَدِقُّ وصفها، ويسمو بيانها - رضي الله عنها -.